خواطر ثورة مايو..

من الساحة العربية

الأهرام: 16-5-76

بقلم: زكريا نبيل

هناك خواطر تستوقف المرء ، كلمات دارت دورة الأيام .. خاصة إذا كانت ترتبط بتاريخ معاصر ، ولها معالم مشعة فى كل ما حدث أو يحدث من متغيرات .. والخواطر التى استوقفتنى ، ولا شك أنها استوقفت الكثيرين غيرى ، تستبد بى كلما ذكر يوم الخامس عشر من مايو الذى يجئ فى كل عام، ولا يزال يفرز الكثير من المعطيات.

وليست هذه الخواطر بالنسبة لى شهادة تاريخ ، كما إنها ليست من قبيل الذكريات التى تأتى عاماً وراء عام، ولكنها فى الحقيقة معين متدفق، متجدد الغطاء ، فثورة مايو التصحيحية، ليست انقلاباً ، وليست حركة، كما أنها ليست من قبيل الانتفاضات ، التى تأتى بحاكم فى أعقاب حاكم آخر ، ولكنها ثورة لها خصائص قد انفردت بها.

وتلك كانت ميزتها.

كانت ثورة تصحيح لكل القيم ، وكانت ثورة إصلاح لمجتمع كاد أن تضيع معالم اصالته تحت غبار الانحراف ، فمن ثم فإنها متجددة التفاعل مع الجماهير .. وكل حركة إصلاح أو ثورة تغيير، فى أى شعب من الشعوب، تخضع فى الحكم على قوتها ونقائها، إلى المؤشرات التى تعطيها عناصر التجدد والاستمرار، وثورة مايو التصحيحة، تنفرد بمؤشر أساسى فيها من بين تلك المؤشرات، وهو التفاعل الجماهيرى بكل ما أفرزته من نتائج وآثار.

الكثيرون يتحدثون عن ثورة 15 مايو التصحيحة، وكل له رؤياه السياسية والاجتماعية والإنسانية ..غير أننى من خلال زحمة الخواطر التى تجئ مع هذه الحركة الشعبية يستوقفنى أمران.

الأول: أن هذه الحركة الثورية لم تتفجر فى مساحة كانت خالية أمامها، ولو إنها حدثت وواقعنا فى فراغ من المخاطر والهموم، لامكن القول بأنها ثورة عابرة، تنضم إلى جانب ميثلاتها من ثورة الشعوب، ولكنها تفجرت و الساحة مليئة ومكتظة بالمخاطر والأهوال وذلك فى قضية الثورة التصحيحية وخصائصها المميزة، وكانت أدواتها الغلابة الإيمان والجرأة المنقطعة النظير، لنترك هذا التعميم لتنتقل إلى التخصيص.

- كان التفكك فى الكيان العربى، ينذر بكارثة أكثر هولاً من كل ما قد تعطيه التوقيعات.

- كان التمزج فى الوجدان المصرى قد هز البناء الداخلى هزا عنيفاً ، وكاد أن يسلمه إلى هزيمة يونيو عام 1967.

- وكانت هجمة الحروب النفسية التى تحالفت علينا فيها إسرائيل والقوى الصهيونية والاستعمارية قد أوشكت على أن تجهز على ما تبقى من ثقة فى نفسية المصريين.

- وكان التحول الخطير فى الموقف السوفيتى من القيادة المصرية، وقد أوصلنا إلى – جانب ما نحن فيه من متاعب وهموم– إلى طريق أشبه بطريق مسدود، وليس أمامه من مخرج غير الاستسلام.

- وكانت مراكز القوى ، وما معها من قوى مشادة قد أتاحت لكل العوامل السابقة المناخ المناسب لنموها، لتتمكن من الانفراد بالشعب المصرى فتصاعدت شراستها ومخططات تشكيكها، وظلت تضغط على صدر الشعب بالتلصص وبالإرهاب ، وحتى فقد الامن النفسى عنصره الأساسى عند كل المواطنين.

www.anwarsadat.org

- وكان طابع الحياة فى مصر قبل ثورة مايو التصحيحية ، يغلب عليه المزايدات والاستخفاف حتى لو أدى مدمرة تحت التهديد، وتحت أسنة الرماح.

كان واقعنا واقعاً مأسوياً قائم السواد ووصلنا نحن شعب مصر إلى ما لا يمكن أن يكون . وصلنا إلى مرحلة اللاشيء وانعدام الوزن والهيبة والكيان.

وفى هذه الساحة المليئة بالمصائب وبالألغام ، تفجرت ثورة التصحيح فى 15 مايو 1971 وجاءت بمبادئها التى أطلقت حرية الإنسان ، ورفعت عنه وحماية الادعاء، فأوصت أبواب المعتقلات برتاج من فولاذ، واستردت كرامة القضاء، وفتحت أبواب الحرية إلى كل مواطن مهما كان، يخرج حراً ويعود إلى الوطن حراً، وساد القانون وتحطمت زوار الفجر ، وقامت دولة المؤسسات.

الأمر الثانى : أن مصر كانت تتحرك فى المساحة العربية من فراغ ، لأن عنصر الثقة كان مفقوداً والثقة إذا غابت فى التعامل بين الأشقاء، فالويل لأى قرار من قرارات المصير، هكذا كان الواقع فى آخر مؤتمر قمة ، عقد تحت ظل هزيمة يونية فى الرباط عام 1969.. لا أريد أن استبعد صورة هذا الواقع العربى الحزين المفكك الأوصال به.

نعم.

كانت حملات الكراهية للشعب المصرى قد أخذت فى غزو الوجدان العربى، وكان الإنسان العربى، فى حالة من الحيرة والقلق الانزعاج، كان يسرى أن مصر هى الأمل رغم الهزيمة وأن شعبها هو صمام أمنه، وأن عزائم رجالها التى عرفت عبر الأجيال بأنها لا تهتز لمعركة لا تستسلم لهزيمة – كان يرى أن مصر قد وقعت فى قبضة أدعياء من الأوصياء ، وأنه لا عاصم لشعب مصر غير معجزة من السماء.

ومن موقع قيادة ثورة التصحيح، كان دور قائدها الثائر، انطلق أنور السادات، فى تجميع شتات الأمة العربية كان دوراً أساسياً ، لم يكن موضع إنكار ، بل أن إجماع قادة الأمة العربية – ملوكاً ورؤساء – قد انعقد على أن الدور دورة ، وأعلنوا ذلك وبأخلاق الفرسان فى العديد من المناسبات .

ولقد يكون الرئيس السادات أول قائد سياسى وعسكرى، يضرب أعلى الأرقام القياسية طائراً فى الفضاء، خلال شهور معدودات، ينتقل من عاصمة إلى عاصمة من دول الأشقاء، وعلى الرغم من المعاناة، وعلى الرغم من التعليقات وصل السادات مع الزعماء العرب إلى جمع الإرادة العربية على كلمة وحدة، ولم تلق القيادة المصرية بالا إلى ما كان يحدث من أزمات ، بل إنها ما كانت تلتفت إلى ما كان موجوداً من مزايدات وتناقضات ، وبقوة قرار ثورة مايو ، كان قرار الحرب فى العاشر من رمضان ووجد الإنسان العربى نفسه بعد أن ظل ينتش عنها العديد من الأيام.

www.anwarsadat.org